ورقة الهيئة الادارية لاتحاد الكتّاب اللبنانيين

قرأها

أحمد سويد

قبل ظهور اتحاد الكتاب اللبنانيين، كمؤسسة ثقافية جامعة، كانت هناك تجمعات لكتاب يحاولون الإطلال على الساحة الثقافية بفاعلية لافتة. وأبرز هذه التجمعات التي لم تتخذ «شكلاً قانونياً» يجعلها شخصية معنوية، كانت أسرة «الجبل الملهم».

ثم تلتها محاولة أشمل نجحت في استقطاب عدد من الكتاب اللبنانيين بعد أن تكرست قانوناً، كجمعية أدبية، تحت اسم «أهل القلم». ولكن هذه الجمعية لم تكتب لها الحياة الطويلة، إذ سرعان ما قوضتها وفجرتها الخلافات الأيديولوجية بين أعضائها، والتناحرات الشخصية، ومحاولات الاحتواء العقائدي.

وعلى أثر ذلك، تنادت عصبة من الأدباء، معظمهم من الذين كانوا ينتسبون لجمعية أهل القلم، لسد الفراغ وراحوا يعقدون الاجتماعات التمهيدية للاتفاق على صيغة جامعة يلتف حولها أكبر عدد ممكن من الكتاب الناشطين على الساحة الثقافية. وبعد حوارات طويلة ومناقشات واسعة، تبلورت هذه الصيغة، ثم تجسدت في جمعية «اتحاد الكتاب اللبنانيين» التي أصبحت شخصية معنوية قانونية بموجب العلم والخبر ذي الرقم ٢٣ المؤرّخ في ٢٠ آب ١٩٦٨، مجازاً لها أن تمارس نشاطها وفقاً لقانونها الأساسي ونظامها الداخلي.

ومنذ ذلك الحين أخذ الاتحاد يفرض حضوره الثقافي على الساحة اللبنانية، ويجتذب إلى عضويته عدداً كبيراً من الكتاب، ويدفعه الطموح وقابليته للانفتاح إلى أن يمد جسوراً من التواصل مع المؤسسات الثقافية العربية ومثيلاتها في الدول الصديقة.

وما إن أكمل الاتحاد خطواته التأسيسية، حتى راح يثبت أقدامه ويرسخ حضوره ويغني رصيده المعنوي وينميه، إلى أن فاجأته أعاصير الأحداث اللبنانية الرهيبة، فكان لا بد من أن يتأثر بها، شأنه في ذلك شأن سواه من المؤسسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. فأصيب بسبب الظروف الأمنية المعطلة بحالة من الشلل النسبي، إلا أنه كان إذا ما لاحت فسحة من الصحو الأمني، يغتنم السانحة ويقوم بنشاط متميز.

وأبرز النشاطات المتميزة التي قام بها مغتنماً تلك الفسحات من الصحو:

١ ـ موقف متميز في المؤتمر العامّ للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب المنعقد في تونس عام ١٩٧٣ حيث تصدى بشجاعة لانتهاكات تعرضت لها الحريات الديمقراطية في بعض الأقطار العربية، وأدى موقفه هذا إلى تشنج في الأمانة العامة لاتحاد الأدباء العرب أدى إلى انسحاب الوفد اللبناني من المؤتمر، ثم إلى تعليق عضويته في الاتحاد العام لفترة طويلة.

٢ ـ برنامج ثقافي معمق ومكثف بعنوان «عام الثقافة الوطنية» غطت فعالياته موسماً ثقافياً كاملاً، وشاركت في محاوره مروحة واسعة من المثقفين، وجُمعت أبحاثه في كتاب صدر عام ١٩٧٩ تحت عنوان **الثقافة الوطنية في لبنان على خط المواجهة**.

٣ ـ المؤتمر الأول للكتاب اللبنانيين الذي انعقد خلال عام ١٩٨٠، وتميز بحضور ثقافي كثيف، ومشاركة فعلية وفاعلة من معظم الرموز الثقافية اللبنانية، وعدد كبير من الكتاب على اختلاف نزعاتهم وتياراتهم. وقد أصدر الاتحاد وثائق هذا المؤتمر وأبحاثه ومناقشاته وتوصياته في كتاب بعنوان **قضايا الثقافة والديمقراطية**.

٤ ـ ندوة جبران خليل جبران العالمية التي أقيمت في أيلول ١٩٨١ وبمناسبة سنة جبران العالمية. وقد حاولت الدولة أن تحتفي بهذه المناسبة، وألفت لجنة لهذه الغاية أستُبعد الاتحاد من المشاركة فيها، فكان ذلك تحدياً له، فقبل التحدي وكان أن أقدم هو، وأحجمت هي. وكانت ندوة الاتحاد والنشاطات التي رافقتها حدثاً ثقافياً بالفعل، إذ كان إلى جانب الندوة، نشاطان مجلجلان:

أولهما: مسرحية تولى الاتحاد إنتاجها وأعدها وأخرجها المسرحي المعروف عضو الاتحاد يعقوب شدراوي، وكانت بعنوان «جبران والقاعدة» أبرزت لوحاتها الوجه المشرق والثوري للرائد النهضوي صاحب الذكرى، وقدمت عروضها للجمهور بصورة مجانية على امتداد أسبوع كامل.

وثانيهما: معرض للفنان «بول غيراغوسيان» رعاه الاتحاد، وكانت لوحاته الستّون مستوحاة من أعمال جبران.

وقد نشر الاتحاد وقائع هذه الندورة كاملة في كتاب يحمل عنوان **ندوة جبران خليل جبران العربية العالمية**.

٥ ـ وخلال عام ٨٤ حاول الاتحاد تنفيذ مشروع ندوة دراسية تكريماً للعلامة الشيخ عبد الله العلايلي. ولكنه كان كلما حدد موعداً لها، تجيء التفجيرات الأمنية فتنسفه، الأمر الذي اضطر معه إلى نشر الدراسات والشهادات المتوفرة في كتاب صدر في أواخر العام يحمل اسم **العلايلي مفكراً ولغوياً وفقيهاً**.

٦ ـ وفي عام ١٩٨٨ أحيا الاتحاد بالتعاون مع الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب ندوة دراسية حول أمين الريحاني بمناسبة

مرور مئة وعشر سنوات على مولده. وقد نشرت وقائع هذه الندوة في كتاب بعنوان **الريحاني رائد نهضويّ من لبنان**.

٧ ـ ولا بد، ونحن نقف أمام بعض المحطات المضيئة في مسيرة **الاتحاد، من أن** نشير إلى أنه استطاع خلال المؤتمر العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب الذي انعقد في مدينة الجزائر عام ١٩٨٤ أن ينتزع موافقة المؤتمر على تسمية الجائزة السنوية التي قررها بجائزة بيروت، تكريماً للعاصمة التي صمدت في وجه الاجتياح الاسرائيلي وقاومت حصاره وسقطت دون أن تركع.

وإذا كانت المعوقات المادية والأمنية قد حدّت من زخم انطلاقة الاتحاد وحيوية تحركه، فإنه ونحن نستعرض التجربة لا بد من الإشارة إلى ما تعرض له الاتحاد في مطلع عهد أمين الجميل من محاولات خبيثة، وضغوطات مكشوفة وخفية، استهدفت بادئ الأمر ترويضه وتدجينه وبالتالي احتواءه. وعندما فشلت المحاولات والضغوط، مورست عليه أساليب أخرى بقصد شقه وتفجيره من **الداخل؛ ولكن** ذلك كله لم يزده إلا تماسكاً وصموداً بنهجه الوطني والقومي.

وهو ما كان يمكن أن يكون بمثل هذه الصلابة والمناعة إلا لأنه يتمتع باستقلالية عصمته من الارتهان. ولعل استقلاليته هذه هي التي حجزت له موقعاً متفرداً في خندق الدفاع عن الحريات الديمقراطية، وتراثه في هذا المضمار يشهد له بأنه كان دوماً في مواجهة القمع والعدوان على الرأي والكلمة، سواء على المستوى اللبناني، أو على المستوى العربي. فلا يتعرض كاتب عربي إلى الاضطهاد أو المضايقة بسبب رأيه وموقفه إلا وينبري الاتحاد للشجب والمؤازرة. وهو بحكم هذه الميزة، حظي ويحظى بتقدير الاتحادات العربية الزميلة وبشرف رئاسة مكتب الحريات في الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، الذي هو أهم خلايا هذا الاتحاد وأنشطها وأفعلها،

أيها الأخوة،

لقد تعرض الاتحاد خلال مسيرته الطويلة وما يزال لحملات موسمية، بعضها شرس وظالم يخفي نوايا تخريبية، وبعضها الآخر دافعه حسن النية وهاجس التطوير والتغيير.

نحن لا نزعم أن الاتحاد معصوم وفوق الانتقادات. ولذا فإننا سوف نفرز ما يرشق به من كلام فننفي الاتهام المجانيّ، ونقر النقد البنّاء، ونعد بأننا سنحاول دوماً أن نستدرج هذا النقد، ونعد باحترامه والاستهداء به:

ـ اتُّهم الاتحاد في مرحلة من مراحل مسيرته بالفئوية، وتغليب لون معين على لونه. وعلى الرغم من أن الاستعراض النزيه لأسماء المنتسبين إليه والتيارات التي ينتمون إليها، يؤكد أن الهوية الغالبة والمؤهلة للانتساب إليه، كانت هي الهوية الثقافية في الدرجة الأولى، فإنه لا بدمن الاعتراف بأن الأحداث اللبنانية وهي في قمة تأزمها لم توفر الاتحاد من ضغوطها، إذ ألقت ببعض ظلالها عليه، وقد كانت هذه الظلال تُترجم عملياً، وإلى حد ما، في هيئات إدارية تعكس الواقع السياسي على الأرض، وتحقق في تركيبها توازناً معقولاً بين قوى الساحة. ولكن ذلك الانعكاس الشكلاني لم يكن ليؤثر على أداة الاتحاد الثقافي، إذ ظل الاتحاد وفياً لمبادئه، حريصاً على عدم الوقوع في فخ الارتهان والتبعية لأي من تيارات الساحة، متحيّزاً على الدوام لنهجه الوطني والقومي.

ـ واتُّهم الاتحاد بأنه فتح أبوابه وشرعها لكثيرين ممن لا تتوفر فيهم الكفاءة. وهذه التهمة تكون في محلها لو كان الاتحاد نادياً للمكرسين فقط، ولو كان عدد شهود هذه التهمة الذين يثبتونها يزيد على عدد أصابع اليد. ولكنها، أي التهمة، تظل تهمة ظالمة إذا ما استلهمنا المبادئ الأساسية للاتحاد التي تفرض عليه، فيما تفرض، أن يحتضن المواهب المتفتحة والطاقات الواعدة، وفيما إذا أخذنا بعين الاعتبار توصية المؤتمر الأول للكتاب اللبنانيين التي اقترحت تسهيل شروط الانتساب والتخفيف من صرامتها؛ إذ نزولاً عند هذه التوصية، عدلت المادة الأولى من نظامه الداخلي، التي كانت في الأساس تفرض أن يكون لطالب الانتساب مؤلفات مطبوعة تتميز بالجودة، فصارت على الشكل التالي:

«لكل كاتب لبناني أن ينتسب إلى الاتحاد إذا توفرت فيه الشروط التالية:

أ ـ أن يكون لبنانياً تجاوز الثامنة عشرة من عمره.

ب ـ أن يكون مارس الكتابة في حقل من حقول الأدب أو العلم أو الفكر أو الفن، وأن يكون نتاجه نشر في كتب أو صحف أو دوريات، أو كتب للإذاعة أو التلفزيون أو السينما أو المسرح وحقق المستوى المتميز من الإجادة».

وبدهي أن يؤدي هذا النص الجديد إلى حصول بعض التسريبات في بعض لحظات «الغفلة المعيارية». وهنا يحق لنا أن نتساءل: من يستطيع أن يزعم أن أية هيئة ثقافية، أو مهنية، مهما بلغت من قوة الضبط والانضباط تكون في منجاة من مثل هذه التسريبات التي كثيراً ما تكون ناتجة عن اختلاف في المعايير وعناصر التقويم؟

واتُّهم الاتحاد بالانغلاق على ذاته. غير أن المتهمين ينسون أن الحرب التي قطعت أوصال البلد وأقامت السدود حتى بين أحياء المدينة الواحدة وأزقتها، كانت سبباً موضوعياً وقسرياً لانقطاع التواصل، حتى بين الاتحاد وأعضائه المنتشرين في شتى المناطق اللبنانية.

ولعل العلاقة الحميمة التي نشأت بينه وبين الحركة الثقافية/أنطلياس، والمؤسسات الثقافية في الشمال والبقاع والجنوب في الوقت الذي كانت الدماء تسيل فيه على «الحدود المرتجلة» لعل هذه العلاقة تنهض برهاناً حياً على محاولاته الجادة للاختراق وفك الحصار.

علاقة الاتحاد بالحركة الثقافية في انطلياس والمؤسسات الثقافية في جميع المناطق برهان حي على محاولاته الحادة لاختراق «الحدود المرتجلة».

- واتُهم الاتحاد بأدائه البطيء وترهله الملحوظ. وهي تهمة في محلها، ولن ننتحل لها الأعذار المحلة إذ على الرغم من عدم توفر جهاز تنفيذي متفرغ، هو المحرك الأساسي لدينامية كل مؤسسة تطوعية، فقد كان من الممكن، لو استُنفرت الطاقات، وكانت الهيئات الإدارية المتعاقبة على مستوى المسؤولية دوماً أن يكون الأداء أكثر حيوية وأغزر وأغنى إنتاجية. ولكيلا يكون التعميم ظالماً، لا بد من التنويه بأن تلك الهيئات كانت تضمن بعض العناصر المتحركة المتحمسة المستعدة دوماً للعطاء، ولكنها لم تكن وحدها سلطة القرار!

- وأُتهم الاتحاد بأنه لم يحترم توصية المؤتمر الأول للكتاب اللبنانيين التي شددت على وجوب التوجه النقابي. وهي تهمة في محلها أيضاً، وإن كان النضال من أجل المكاسب ذات الطابع النقابي معقداً والطريق إلى انتزاع هذه المكاسب مزروعاً بالصعاب والعقبات، إذ كان على الاتحاد أن يحاول، وأن يناضل، على شتى المستويات، لتأمين بعض التقديمات لأعضائه، حتى ولو كانت هذه التقديمات رمزية.

- وأُخذ على الاتحاد أنه لم يول قضية العلاقة بين المؤلف والناشر الأهمية التي تستحقها. وهو مأخذ في محله، كذلك، إذ لم يبذل الاتحاد أي جهد كاف لتنظيم هذه العلاقة التي يغلب عليها عادة طابع التصادمية والغبن، بل ظلت مقاربته لها بنداً مفترضاً على جدول الأعمال. وقد كان من الواجب أن يستحثه ويستفزه، لينهد بجدية إلى هذه المهمة، تذمُّر الكثيرين من أعضائه، ودعوتهم إياه للتصدي بنفسه لمغامرة النشر، كحل لأزمة نتاجهم المكدس على الرغم من قناعتهم بأن عجزه المادي هو الذي يحول دون هذا التصدي.

إن الحملات التي تعرض ويتعرض لها الاتحاد على اختلاف دوافعها وأغراضها، تؤكد ايجابية لا شك فيها، وهي أهمية دوره وموقعه، والآمال المعلَّقة عليه، ومدى الحاجة إلى تدعيم ذلك الدور وتحصين ذاك الموقع، وتغذية تلك الآمال بإنجازات ثقافية مهمة على أرض الواقع، وتفرض عليه أن يسعى بجدية أكثر ودأب أشد إلى تطوير نفسه على شتى الصعد.

إن المتغيرات، سواء على الصعيد الداخلي، أو على الصعيد الاقليمي العربي، تستدعي نهجاً جديداً في التحرك. ولا شك أن مؤتمركم هذا، المؤتمر الثاني، سوف يكون منعطفاً مهماً ونقلة نوعية جديدة لا بد منها لمواجهة التحديات والأعباء الجديدة. وفي تصورنا أن ما يواجه الاتحاد في مرحلة ما بعد هذا المؤتمر هو سلسلة من المهمات الأساسية منها:

١ - تعديلات أساسية في نظامه الداخلي، لتوفير قدر كاف من المرونة لهيئاته الإدارية وتجنيبها سلبيات الروتين القاتل، ولتوفير نوع من المشاركة الفعلية الدائمة بين هذه الهيئات والقاعدة، نعني، الجمعية العامة للاتحاد.

٢ - تعميق وتطوير طابعه المؤسساتي، بحيث يتوصل إلى توفير جهاز إداري متفرغ، أصبح من ضرورات العمل المؤسساتي.

٣ - استنباط مصادر تمويلية تمكنه من تحقيق مشروعه الرامي إلى إقامة دار للكاتب اللبناني تحتوي على مكتبة وناد، وقاعات للمحاضرات والاجتماعات، والنشاطات الثقافية المتعددة، على أن يظل في بحثه عن مصادر التمويل متمسكاً بمبدأ عدم الارتهان لأية جهة، أياً كانت هذه الجهة.

٤ - تكثيف نشاطاته الثقافية، وبذل الجهود لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الكتاب اللبنانيين على اختلاف تياراتهم الفكرية.

٥ - ممارسة الضغوط على السلطات المختصة، لإصدار تشريعات متطابقة مع المواثيق الدولية الموضوعة لصيانة حقوق المؤلفين والعمل، على أن يكون الاتحاد وسيطاً بين دور النشر، والكتاب الناشئين، لإقناعها بنشر نتاجاتهم بشروط عادلة.

٦ - النضال على صعيد المكاسب النقابية، بحيث ينتزع لأعضائه بعض التقديمات. وسوف يباشر فوراً بالسعي لإبرام عقد جماعي مع إحدى شركات التأمين للضمان الصحي يوفر لمن يشاء من أعضاء الاستشفاء والطبابة، لقاء اشتراكات سنوية رمزية.

٧ - السعي لتوفير مصادر مالية من أجل إحياء واستمرارية جائزة الاتحاد السنوية التي عُلقت بسبب أزمته المالية.

أيها الأخوة،

في هذه المرحلة من النقاهة السياسية والاقتصادية التي يمر بها وطننا، نرجو لاتحادنا أن يجتاز هو بدوره هذه المرحلة ويتخطاها إلى مرحلة تتميز بالعطاء السخي، والرسوخ المستند إلى الكفاءة، والتطور المستند إلى الجهد الصادق والتعاون الجاد.

إن الثقافة الوطنية هي إحدى دعائم هذا البلد. ولكي تكون هذه الدعامة قوية وفاعلة، لا بد من توحيد الصف الثقافي، والالتفاف حول مؤسسة أُمّ، هي اتحاد الكتاب اللبنانيين، لكي تظل هذه المؤسسة جديرة باسمها.